

أضواء البيان

@ 504 على قوله تعالى : { إِنْ زَنْهَهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ

جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى } . { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى *
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } . أسند الفلاح هنا إلى من تزكى وذكر اسم ربه صلى ،
وفي غير هذه الآية أسند التزكية لمشئته □ في قوله : { وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا } ، وفي آية أخرى ،
نهى عن تزكية النفس . .

وقد تقدم للشيخ بيان ذلك في سورة النور عند الكلام على قوله تعالى : { وَلَوْ لَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ } على أن زكى بمعنى
تطهر من الشكر والمعاصي ، لا على أنه أخرج الزكاة ، والذي يظهر أن آية النجم إنما نهى
فيها عن تزكية النفس لما فيه من امتداحها ، وقد لا يكون صحيحاً كما في سورة الحجرات {
قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَتُلَاكِنَ قَوْلُكُمْ أَسْلَمْنَا
وَاللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمُ . { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآسُ خَيْرَةٌ
خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى } . قرء : تؤثرون بالتاء وبالياء راجعاً إلى { الْآسُ شَقَى السَّذَى يَصْلَى
النَّارَ الْكُبْرَى } ، وعلى أنها بالتاء للخطاب أعم ، وحيث إن هذا الأمر عام في الأمم
الماضية ، ويذكر في الصحف الأولى كلها عامة ، وفي صحف إبراهيم وموسى ، مما يدل على
خطورته ، وأنه أمر غالب على الناس . .

وقد جاءت آيات دالة على أسباب ذلك منها الجهل وعدم العلم بالحقائق ، كما في قوله
تعالى : { وَمَا هَذَا بِالدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ
الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } ، أي الحياة
الدائمة . .

وقد روى القرطبي عن مالك بن دينار قوله : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى ، والآخرة من خرف
يبقى ، لكان الواجب أن يؤثر خرف يبقى على ذهب يفنى ، فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا
من خرف يفنى ؟ .

ومن أسباب ذلك أن الدنيا زينت للناس وعجلت لهم كما في قوله : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ